مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

العوامل المؤثّرة في التّنظير النّحوي عند الجيل الأوّل من النُّحاة العرب

Factors influencing grammatical theorization At the first generation of Arab grammarians

د. إلياس بليح
ilyas.bellih@umc.edu.dz
جامعة الإخوة منتوري– قسنطينة 01

تاريخ الإرسال: 27_04_2021 **تاريخ القبول: 21_09_2021**

I. الملخـــص:

لا يصوغ العلماء نظريَّاتهم العلمية وفقا للآليات الإجرائية المباشرة فحسب، وإنَّما على تراكمات علميَّة ومعرفية؛ وأخلاقية ونفسية، تكون قائمة في أذهان الأفراد، كما هي في أذهان الجماعة، بالإضافة إلى الظِّلال الَّتي تنتجها المؤثِّرات الخارجة عن تلك الأطر. ولا شكَّ في أنَّ النَّظرية النَّحوية؛ يصدق عليها هذا التَّمييز بين الآليات الظَّاهرة، والآليات الخفيَّة. من أجل ذلك حاولنا، في هذا المقال، أن نسلّط الضّوء على عيّنة من النّحاة الأوائل (القرون الثّلاثة الأولى)، بتلخيص أهمّ السّمات المميّزة في سيرهم، وتبيّن العوامل الّتي قد تؤثّر على تنظيرهم النّحوي.

الكلمات المفتاحية: عوامل مؤثّرة؛ تنظير؛ نحو؛ سير؛ نظرية نحوية.

I. ABSTRACT:

Scientists don't just formulate their scientific theories according to straightforward procedural mechanisms, but also on scientific and cognitive accumulations. Moral and psychological, it is present in the minds of individuals, as it is in the minds of the group, In addition to the shadows produced by

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

the effects outside those frames. There is no doubt that the grammatical theory; It is true of this distinction between apparent and hidden mechanisms. For this purpose, we tried, in this article, to shed light on a sample of early sculptors (the first three centuries), by summarizing the most important features in their biographies, It shows the factors that may influence their grammatical theorization.

Keywords : Influencing factors; theorizing; grammar; biography; grammatical theory.

المقدمـــة:

تتمثّل الآليات الظَّاهرة، الّتي عالجها البحث، في عاملين قام عليهما التَّنظير النَّحوي في بواكير مراحله، **الأوَّل** منهما: مجمعٌ عليه في الإجمال، وإن اختلفوا في التَّفاصيل، وهو العوامل الدَّاخلية، ممثَّلة في السَّماع (القرآن الكريم، الحديث النَّبوي، كلام العرب)، والقياس. **الثَّاني**: أخذ الباحثون فيه وردُّوا، وهو العوامل الخارجية، ممثَّلة في أثر السِّريان، وأثر اليونان.

أمَّا الطَّريف في الطَّرح، فيكمن في الكلام عن الآليات الخفية، منطلقين من فرضية مفادها: أنَّ سِير العلماء تحيلنا على اكتشاف آليَّات كامنة؛ لها أثرها على تنظيراتهم النَّحوية.

و**الخطوة الإجرائية الأولى**، الَّتي قمنا بها في هذا الشَّأن، تتجلَّى في مبحثٍ أوَّل: (من سير النُّحاة)، عرضنا فيه لثلاث وثلاثين شخصيَّة نحوية، على مدى ثلاثة قرون، من أبي الأسود الدُّؤلي إلى أبي الحسن الرمَّاني، وذكرنا أهم المحطَّات الَّتي يمكن أن تشكِّل ظلالا تأثيرية. و**الخطوة الإجرائية الثَّانية**، تتجلَّى في مبحثٍ ثان: (معالم لها تأثير)، حاولنا فيه استخراج أمورٍ مشتركة، وأخرى فارقة، تتوافر في مدوَّنة السِّير الَّتي قمنا بجمعها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

من التعسُّف في هذه المرحلة من البحث، أن تُطرح عليه أسئلةٌ من هذا النَّوع: ما هي القاعدة النَّحوية الَّتي أثَّر فيها ذلك العامل بالذَّات؟ وكيف؟ فمثلُ هذه الأسئلة سابقةٌ لأوانها ولسنا نملك –الآن– الإجابة المباشرة عنها، ولكن حسبنا التَّنبيه على هذه الآليات، وعلى وجودها.

وعلى كلٍّ، نحاول إزالة الغموض عمَّا استخرجناه في الخطوة الثَّانية، برسم هذا المخطط التَّوضيحي؛ لتقريب الفكرة:

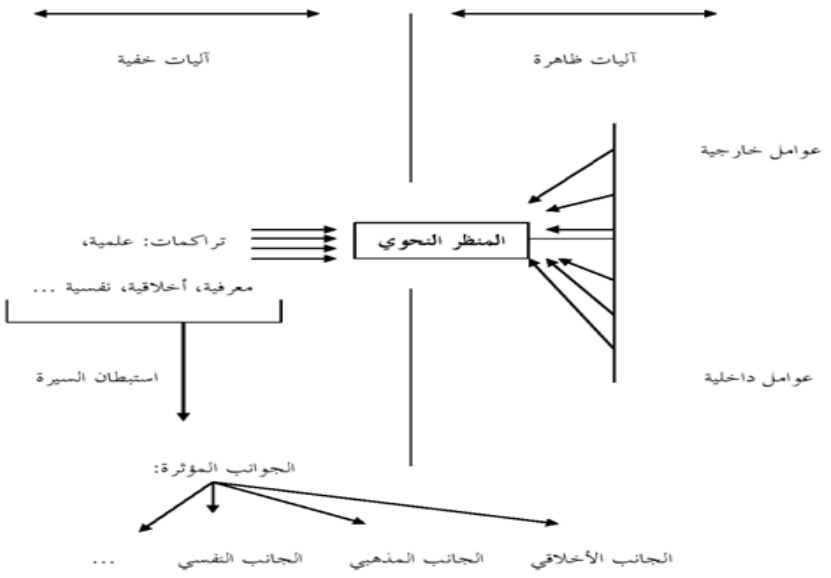

– مخطط العوامل المؤثرة في التنظير النحوي–

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

ملاحظة:

إنَّ الجوانب المستنبطة من السِّير، ظهرت من إزاء التَّحليل الأوَّلي، وقد نستبعد بعضها، فيما يلي من الخطوات الإجرائية، إذا وجدنا انعدام تأثيرها على النَّظرية النَّحوية.

1- العوامل الدَّاخلية:

1–1: السَّماع:

إنَّ (السَّماع) هو مرجع الأدلَّة كلِّها، وهو من الرَّوافد العلميَّة الأساسية، والآليات الإجرائية، الَّتي ساعدت النَّحويين الأوائل في التَّعامل مع المدوَّنة الكبرى لكلام العرب، والتَّنظير لها.

وقبل أن نفصِّل أنواع الدَّليل السَّماعي، نورد له تعريفا عامًّا ساقه (الكفويُّ) في (كلِّياته) قال: «السَّماعيُّ ما لا قاعدة له يُعرف بها»[1]. ويقول (السُّيوطي) في (اقتراحه): «(السَّماع) ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيِّه (عليه السَّلام)، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولَّدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بدَّ في كلٍّ منها من الثُّبوت»[2].

1–1–1: القرآن الكريم:

لم يختلف أحدٌ من النُّحاة في أنَّه أصلٌ من أصول الاستشهاد في اللُّغة والنَّحو، وقد كان فهمه «عاملا هامًّا حفَّز أوائل النُّحاة إلى التعمُّق في البحث ليكون النَّحو حقيقا

[1]– أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى. (1993). الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) (ط 2). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، ص 497.

[2]– جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1989). الاقتراح في أصول النحو وجدله (ط 1). (تحقيق وشرح: محمود فجال) دمشق: دار القلم، ص 67.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

باستنطاق التَّركيب القرآني وتعيين دلالاته، وتدقيق أحكامه. وقد أفضى هذا الاتِّجاه المبكِّر بالنَّحو إلى تجاوز وضع الضَّوابط الشَّكلية للصحَّة والخطأ في كلام العرب، وإلى العناية بالدَّلالات المنبثقة من الأوضاع النَّحوية في سياق التَّركيب»[1].

وقد أثَّر (القرآن) في التَّخريجات النَّحوية عند المدرستين البصرية والكوفية، إذ اعترفت الأولى بأنَّه أصلٌ من أصول الاستشهاد، وكانت الأخرى أوسع أفقا في مجال الاستشهاد به منها. ذلك أنَّه صعب على علماء المدرسة البصرية «أن يحطِّموا ما بنوه من مقاييس، وأن يهدِّموا ما شيَّدوه من أصول، وفي الوقت نفسه عزَّ عليهم ألَّا يغترفوا من معين القرآن الكريم في تقعيد القاعدة، وبناء الحكم فلجأوا إلى التَّأويل والتَّخريج. وبالتَّأويلات والتَّخريجات تزاحمت مسائل النَّحو، ففي كلِّ مسألةٍ قولان، لا، بل أقوال، وفي كلِّ مشكلةٍ رأيان، لا، بل آراء. واهتزَّت القواعد من هذا الاضطراب الَّذي تورَّط فيه البصريُّون وسار على دربهم في هذا المضمار النُّحاة المتأخِّرون»[2].

وأمَّا علماء المدرسة الكوفية فقد «قبلوا كلَّ ما جاء من القرآن الكريم مُؤثِرين في أحايين كثيرة عدم التَّأويل والتَّخريج، والأخذ بظواهر الآيات. وكان هذا المنهج سليما لو أنَّهم ساروا على نهجه، وسلكوا في دربه، في كلِّ ما أوردوه من مسائل، أو رضوه من قضايا. لكنَّهم مع الأسف لم يحكِّموا هذا المنهج في كلِّ ما ورد من الآيات القرآنية، ذلك لأنَّهم راعتهم الأقيسة البصرية، فنسجوا على منوالها، واغترفوا من معينها ...»[3].

---

[1]– محمد طاهر الحمصي. (2003). من نحو المباني إلى نحو المعاني (بحث في الجملة وأركانها) (ط 1). دمشق، سوريا: دار سعد الدين، ص: أ.

[2]– سالم مكرم، عبد العال. (1968). القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحوية (د ط). القاهرة، مصر: دار المعارف.، ص 112.

[3]– (عبد العال، 1968)، المرجع السّابق، ص 124.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

1–1–2: الحديث النَّبوي:

لا نخوض كثيرا، هنا، في قضية صحَّة الاحتجاج بالأحاديث النَّبوية، وفي كونها أحد الرَّوافد العلمية المؤثِّرة على التَّنظير النَّحوي، مكتفين بإيراد قرار مجمع اللغة العربية (بدمشق)، وهذا نصُّه: «اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النَّبوية لجواز روايتها بالمعنى، ولكثرة الأعاجم، وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصَّة مبيَّنة فيما يأتي:

1- لا يُحتجُّ في العربية بحديثٍ لا يوجد في الكتب المدوَّنة في الصَّدر الأوَّل، كالكتب الصِّحاح السِّتة، فما قبلها.

2- يُحتجُّ بالحديث المدوَّن في هذه الكتب الآنفة الذِّكر على الوجه الآتي:

1- الأحاديث المتواترة المشهورة.

2- الأحاديث الَّتي تستعمل ألفاظها في العبادات.

3- الأحاديث الَّتي تُعدُّ من جوامع الكلم.

4- كتب النَّبي –صلى الله عليه وسلم–.

5- الأحاديث المرويَّة لبيان أنَّه –صلى الله عليه وسلم– كان يخاطب كلَّ قوم بلغتهم.

6- الأحاديث الَّتي عُرف من حال رواتها أنَّهم لا يجيزون رواية الأحاديث بالمعنى مثل: القاسم بن محمَّد ورجاء بن حيوة وابن سيرين.

7- الأحاديث المرويَّة من طرقٍ متعدِّدة وألفاظها واحدة. اهـ»[1].

1–1–3: كلام العرب:

[1] – إبراهيم مدكور. (1963). مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما 1932–1962. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ص 3 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

لا شكَّ في أنَّ كلام العرب من الرَّوافد الأساسية الَّتي بُني عليها التَّنظير النَّحوي، فالمدوَّنات الَّتي جمعها النُّحاة الأوائل من أفواه الأعراب، إثر رحلاتهم المتواصلة إلى البوادي والوديان والشّعاب؛ شعرا كانت أم نثرا، ساهمت في توجيههم عند بناء القواعد وتأسيس القوانين النَّحوية.

على أنَّ للعلماء شروطا على هذا النَّوع، سواء من النَّاحية الزَّمانية، أو من النَّاحية المكانية، ويتجلَّى سبب ذلك في بعض مواقف العلماء مع الأعراب، روى الزَّجاجي بسنده إلى الأصمعي قال: «قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة: كيف تقول: حفرتُ إراتِك ؟ [فقال: حفرتُ إراتِك]، قال: فكيف تقول: استأصل الله عِرْقاتِهم أو عِرْقاتَهم ؟ فقال: استأصل الله عِرْقاتَهم. فلم يعرفها أبو عمرو وقال: لان جلدك يا أبا خيرة»[1].

ملاحظة:

إنَّ حجِّية هذا النَّوع لا تقلُّ قوَّة عن النَّوعين السَّابقين، هذا من ناحية الألفاظ، أمَّا من ناحية المعاني، فإنَّ للعرب أوهاما فيها، وقد ألَّف (أحمد تيمور) في هذا الباب كتابا سمَّاه: (أوهام شعراء العرب في المعاني)، ومن الشَّواهد توهُّمهم لضخامة الفيَّال، لضخامة الفيلة !.

1–2: القياس:

إذا اعتبرنا السَّماع الرَّافد الأوَّل للتَّنظيرات النَّحوية، فإنَّ القياس يأتي في الدَّرجة الثَّانية، بعده مباشرة، وهو نتيجةٌ حتمية ٌ ومنتظرة، فبعد أن تتجمَّع عندك مدوَّنة في حجم الكلام العربي، وتنظر إليها نظرة المتأمِّل، تبرز لك عدَّة مظاهر، أبرز أدواتها

[1]– عبد الرّحمن الزجّاجي، أبو القاسم. (1983). مجالس العلماء (ط 02). (تح، عبد السلام هارون) القاهرة/ الرياض، مصر/ السعودية: مكتبة الخانجي/ دار الرّفاعي، ص6 (مجلس أبي عمرو مع أبي خيرة).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

الإجرائية، أداةٌ نسمِّيها (القياس): «وهو، في اللُّغة، ردُّ الشَّيء إلى نظيره، أو قياس غير المنقول من كلام العرب على كلامهم المنقول عنهم، كأن تشتق لفظا من آخر وفق المقاييس الَّتي ارتضاها اللُّغويون والنُّحاة، والَّتي استقرئت من اللُّغة نفسها ... وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ... وقد قسَّم (ابن جنِّي) كلام العرب أربعة أضرب من حيث الاطِّراد والشُّذوذ:

1- مطَّردٌ في القياس والاستعمال جميعا، نحو: قام زيدٌ، وضربتُ عمرا، ومررت بسعيد.

2- مطَّردٌ في القياس شاذٌّ في الاستعمال، وذلك نحو الماضي من «يذر» و«يدع».

3- مطَّردٌ في الاستعمال، شاذٌّ في القياس، نحو: «استصوبت الأمر» و«استحوذت الشَّيء» و«استنوق الجمل»، والقياسُ قلبُ واوه ألفا.

4- شاذٌّ في القياس والاستعمال جميعا، نحو «ثوبٌ مصون» و«فرسٌ مَقُود».

ويجب ألاَّ نخطِّئ إلاَّ الشَّاذ في القياس والاستعمال معا»[1].

هذا و«إذا أخذنا القياس في أبسط معانيه، تبيَّن لنا أنَّه عمليَّة فكريَّة يقوم بها الإنسان الَّذي ينتمي إلى جماعة لغوية، ويجري بمقتضاها على الاستعمال المطَّرد لهذه الجماعة ... إنَّ أدنى تأمُّلٍ في آثار نحاة العربية يهدي إلى أنَّ ما أسموه قياسا، (يدلُّ) على ما قد يكون في مفهومه عندهم من غموض، لأنَّ هؤلاء النُّحاة الأوائل كانوا يعملون به على هدي تصوُّر له قائمٍ في نفوسهم دون أن يحدُّوه ...»[2].

[1]– إميل بديع يعقوب. (1986). موسوعة النحو والصرف والإعراب (ط 01). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ص 428 وما بعدها.

[2]– منى إلياس. (1985). القياس في النّحو (ط 1). بيروت، لبنان: دار الفكر، ص 09.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

«وقد كانوا يَعْنُون بالقياس (في هذه المرحلة) جملة ما يستظهرونه من التأمُّل في واقع الكلام من أحكام وأوضاع، كما يطلقونه أيضا على أسلوب النَّظر في الكلام لاستخراج هذه الأحكام والأوضاع ونظمها في قوانين خاصَّةٍ تضبطها ...»[1].

1–3: بين السَّماع والقياس:

أورد أبو علي الفارسي أنَّه: «لو لم يعاضد القياس السَّماعَ حتَّى يجيء السَّمع بشيء خارج عن القياس، لوجب اطِّراح القياس والمصير إلى ما أتى به السَّمع، ألا ترى أنَّ التعلُّق بالقياس من غير مراعاة السَّماعِ معه يؤدِّي إلى الخروج عن لغتهم، والنُّطق بما هو خطأ في كلامهم ... فالقياس أبدا يُترك للسَّماع، وإنَّما يلجأ إليه إذا عدم في الشَّيء السَّمع، فأمَّا أن يُترك السَّماع للقياس فخطأٌ فاحش ...»[2].

ملاحظة:

قد ترجع فكرة القياس إلى أصول الفقه، في إطار تأثُّر النَّحو بغيره من العلوم الإسلامية، ذلك أنَّ فكرة القياس الشَّرعي كانت معروفة، ليس في عصر ابن أبي إسحق فحسب، بل منذ أيَّام الصَّحابة –رضوان الله عليهم–[3].

2- العوامل الخارجيَّة:

2–1: أثر السِّريان:

[1]– المرجع نفسه، ص 20.

[2]– أبو علي الفارسي. (1987). المسائل الحلبيّات (ط 01). (تح، د حسن هنداوي) دمشق/ بيروت، سوريا/ لبنان: دار القلم/ دار المنارة، ص 226.

[3]– ينظر: مقدِّمة تحقيق: جمال الدّين الأسنوي. (1985). الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية(ط 1). (تح، محمّد حسن عوّاد) عمّان، الأردن: دار عمّار، ص 53.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

سيكون كلامنا، هنا، مقتضبا، لأنّ هذه القضيّة لم تفرد بالتّأليف، ولقد اطّلعنا على عدّة عناوين تناولت الموضوع في مجلاّت متفرّقة ذكرها د. عبد السّلام المسدّي في كتابه الماتع: (مراجع اللّسانيات)، ولكن عسر العثور عليها[1].

ونحن عندما نتكلّم عن الأثر السّرياني في التّنظير النّحوي؛ فإنّنا لا نذهب أبعد من كون الحضارات تتلاقح فيما بينها، ويأخذ بعضها من بعض في إطار ما يدعى بـــ «التّثاقف»، إذ العلوم والمعارف ليست حكرا على أمّة دون أخرى، وهذه قضيّة أوضح من أن تشرح !

وعند إثباتنا لهذا التّلاقح والتّلاقي والتّثاقف فإنّنا لا ننساب خلف أصحاب الآراء المؤدلجة والمسيّسة، والّتي تسوق تنظيراتها من وراء الحُجُب والأكمات !

وفي الوقت نفسه، لسنا أبدا ممّن يقول بفجائيّة تكوّن النّحو وطفرته، كالّذي يقول: «من الأمور المذهلة حقّا ظهور العربية **فجأة** على مسرح الحضارة العالمية لغة تامّة نامية متكاملة في صرفها ونحوها وبيانها وسعة مفرداتها ...»[2]. ولا ممّن يطعن في مدى شموليّة التتبّع والاستقراء الّذي قام به الرّاسخون من علماء اللّغة والنّحو كقول أنيس فريحة: «طبيعيٌّ ألاّ يكون الجمع تامّا، وألاّ يكون الاستشهاد مستوفيا جميع الشّروط الّتي يتطلّبها العلم، ومن هنا كان الاضطراب في الاستقراء»[3]. ولا ممّن يبخس العرب

[1]– نشير هنا إلى وجود مقال وحيد في منصة (asjp) أفرد دراسة لعلاقة النحو العربي بالنحو السرياني، ينظر: (الدليمي، 2019).

[2]– أنيس فريحة. (1983). نظريات في اللغة (ط 01). بيروت، لبنان: الكتاب اللبناني، ص 66.

[3]– (فريحة، 1983)، المرجع نفسه، هامش ص 119.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

إنتاجهم، فيزعم أنّ نحوهم وضعُ غيرهم ! كما «يرى (فون كريسر) ... أنّ النّحو العربي من وضع الآراميين والفرس»[1]!!.

وإنّما قصارى ما نقول أنّ: «التّفاعل الفكري الحضاري بين العرب وسريان العراق بدأ في عهدٍ مبكّر، ويجب أن يكون العرب قد لحظوا أنّ للسّريانية صرفا ونحوا، لأنّهم سبقوا العرب في هذا الحقل. كذلك نعلم مثلا أنّ أسقف نصيبين، واسمه سيبوخت، كان عالما يتقن الإغريقية، وقد عني بوضع صرف ونحو للّغة السّريانية على نمط الصّرف والنّحو الإغريقيين. سيبوخت هذا أجاز لجميع كهنته أن يشافهوا العرب، وأن يعلّموهم، وأن يطلعوهم على ما عندهم من علوم. فالاتّصال الحضاري الفكري بدأ في أيّام أبي الأسود الدّؤلي. وقول من يقول إنّ النحو العربي متأثّر بالمنطق الأرسطو طاليسي يحتاج إلى تعديل. العرب تأثّروا أوّلا بالفكر السُّرياني قبل أن يتعرّفوا إلى الفكر الإغريقي. وعمل أبي الأسود الدّؤلي يشير إلى تأثّره بالسّريانية ... [ذلك أنّه عندما] اتّخذ كاتبا فطنا من بني عبد القيس وقال له: إذا فتحتُ فمي ضع نقطة فوق الحرف، وإذا كسرتُ شفتيّ ضع نقطة تحت الحرف، وإذا ضممتها ضع نقطة لدن الحرف، ومن يعرف اللّغة السّريانية القديمة يدرك فورا أنّ هذا النّظام من التّحريك هو النّظام السّرياني القديم»[2].

ملاحظة:إنّ المركز الأوّل للحركة اللّغوية كان في مدينة البصرة، والّتي كانت ملتقى الحضارات: الإغريقية الوثنية والإيرانية والآرامية المسيحية والدّين الإسلامي.

[1]– ينظر هذا والرّد عليه في: عوض حمد القوزي. (1981). المصطلح النّحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثّالث الهجري) (ط 01). جامعة الرياض، السعودية: عمادة شؤون المكتبات، ص 29 وما بعدها.

[2]– (فريحة، 1983)، المرجع نفسه، ص 75.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

2–2: أثر اليونان: لا شكّ في أنّ تأثير منطق اليونان على النّحو العربي جاء متأخّرا عن التّأصيلات البنائية الأولى، و لم نورده ضمن العوامل التّأثيرية إلّا **وصفا** للواقع في تلك الفترة، فقد رأينا عدّة نحاة اتّجهوا في تنظيرهم نحو منطق اليونان.

ولكن هذا لا يعني أنّ النّحو لم يكن له منطقه الخاص الّذي اعتمده في بناء نظريّته، يقول أحد الباحثين بعد أن تكلّم عن منطق اليونان وأثر اختلاطه بالعلوم الشّرعية (والنّحو منها): «... وعليه، فإنّ العلوم تقدّمت قبل المنطق (اليوناني) والتعرّف عليه، وبعد انتهاء أوانه ... يقول ابن تيمية (المجموع 23/9): وقد صنّف في الإسلام علوم النّحو، والعروض، والفقه وأصوله، وغير ذلك، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت إلى المنطق، بل عامّتهم كانوا قبل أن يعرف المنطق اليوناني»[1].

ويرى باحثٌ آخر، بعد أن وضّح أنّ الجملة في النّحو العربي لا بدّ أن تمرّ عبر مرحلتين هما: السّماع ثمّ القياس، أنّ هناك مرحلة ثالثة أخيرة تمرّ عبرها الجملة هي: **منطقية الجملة النّحوية**، وهي أشبه (أي: المراحل الثّلاث) بمثلّث متسواي الأضلاع، مضلّعٌ للسّماع وثانٍ للقياس وثالث للمنطق[2]:

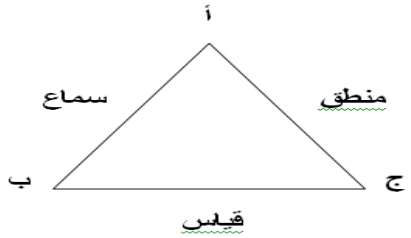

[1]– محمّد علي فركوس. (2006). المنطق الأرسطي وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية (ط 01). القبة، الجزائر: دار الرغائب والنفائس، ص29.

[2]– فتحي الدجني. (1982). النزعة المنطقية في النحو العربي (ط 01). الكويت: وكالة المطبوعات، ص 19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

ويرى عبد الرّحمن الحاج صالح أنّ الأدلّة التّاريخية والعقلية تبيّن «أنّ النحو العربي هو في جوهره لغويٌّ محض [...] وأنّ المنطق الأرسطو طاليسي لم يجد مرتعا مريئا إلاّ بعد نشوء النّحو واكتهاله، أي بعد غلق باب الاجتهاد ...»[1].

3- العوامل الخفيَّة:

3–1: من سير النُّحاة:

نستعرض في هذا المبحث سير فئة من النّحاة العرب الأوائل، معتمدين في ذلك على بغية الوعاة للإمام السيّوطي، ومركّزين على الميزات العلمية الّتي أوجدت لنا شخصيات لها مكانتها في ساحة التّنظير النّحوي:

01: أبو الأسود الدّؤلي، ظالم بن عمرو الكِناني البصري (ت 69 هـــ):

أول من أسس النحو، كان من سادات التابعين، ومن أكمل الرجال رأيا، وأسدهم عقلا، شيعيا شاعرا سريع الجواب، ثقة في حديثه، أول من نقط المصحف، قال الجاحظ :أبو الأسود معدود في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم مأثور عنه في جميعها، معدود في التابعين، والفقهاء، والمحدثين، والشعراء، والأشراف، والفرسان، والأمراء، والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلع الأشراف، والبخر الأشراف.

02: نصر بن عاصم اللّيثي النّحوي (ت 89 هـــ):

قال ياقوت: كان فقيها عالما بالعربية من قدماء التابعين؛ وكان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو، وله كتاب في العربية. كان يرى رأي الخوارج، ثم ترك ذلك.

03: عنبسة بن سعدان الفيل الميساني (ت 100 هـــ):

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح. (1965). النحو العربي ومنطق أرسطو. مجلة كلية الآداب (العدد 01)، ص 35 وص 55.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبرع منه. وروى الأشعار، وظرف وفصح؛ وروى شعر جرير والفرزدق.

04: عبد الرّحمن بن هرمز بن أبي السّعد المديني (ت 117 هـــ):

قال الزبيدي: كان من أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش.

05: يحيى بن يعمر التّابعي (ت 129 هـــ):

قال الحاكم: فقيه أديب نحوي مبرز، سمع ابن عمر وجابرا وأبا هريرة، وأخذ النحو عن أبي الأسود.

06: عيسى بن عمر الثّقفي، أبو عمر (ت 149 هـــ):

إمام في النحو والعربية والقراءة، مشهور، وكان يتقعر في كلامه.

07: أبو عمرو بن العلاء المازني النّحوي المقرئ (ت 154 هـــ):

أحد القراء السبعة المشهورين، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها. وكان من أشراف العرب ووجهائها، مدحه الفرزدق، ووثقه يحيى بن معين وغيره. وقال الذهبي: قليل الرواية للحديث، وهو صدوق حجة في القراءات.

08: حمّاد بن سلمة بن دينار (ت 167 هـــ):

الإمام المشهور، إمام الحديث، وشيخ أهل البصرة في العربية، وهو الّذي لحّن سيبويه في حديث (ليس أبا الدّرداء) وكان سببا في ملازمته للخليل، وقال الذهبي: كان إماما رأسا في العربية فصيحا بليغا، كبير القدر، صاحب سنة، شديدا على المبتدعة، زاهدا حجة، روى له مسلم والأربعة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

09: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـــ):

صاحب العربية والعروض .قال السيرافي :كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه؛ وهو أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة. وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم. وكان خيرا متواضعا، ذا زهد وعفاف، وكانت له معرفة بالإيقاع والنظم، وكان آية في الذكاء، وكان الناس يقولون: لم يكن في العربية بعد الصحابة أذكى منه. وكان يحج سنة، ويغزو سنة. ورئي في النوم فقيل له: ما صنع الله بك؟ فقال: أرأيت ما كنا فيه! لم يكن شيئا، وما وجدت أفضل من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

10: أبو الخطّاب: الأخفش الأكبر، عبد الحميد بن عبد المجيد (ت 177 هـــ):

كان إماما في العربية قديما، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وكان دينا ورعا ثقة، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله؛ وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها.

11: أبو عبد الرّحمن، يونس بن حبيب الضبّي البصري (ت 182 هـــ):

قال السيرافي :بارع في النحو، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، سمع من العرب، وروى عن سيبويه فأكثر، وله قياس في النحو، ومذاهب يتفرد بها. وعنه أنه قال: قال لي رؤبة بن العجاج: حتام تسألني عن هذه البواطيل وأزخرفها لك {أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك}.

12: أبو الحسن الكسائي، علي بن حمزة، الإمام (ت 182 هـــ):

إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، قال الخطيب :وتعلم النحو على كبر، وقال ابن الأعرابي :كان الكسائي أعلم الناس، ضابطا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

عالما بالعربية، قارئا صدوقا، إلا أنه كان يديم شرب النبيذ ...، وقال ابن درستويه: كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد بذلك النحو.

13: أبو بشر، سيبويه، عمرو بن عثمان، إمام البصريين (ت 188 هـــ):

قال الأزهري: كان سيبويه علامة، حسن التصنيف، وقد نظرت في كتابه، فرأيت فيه علما جما. وكان شابا نظيفا جميلا، وكان في لسانه حبسة وقلمه أبلغ من لسانه.

14: أبو الحسن، النّضر بن شميل، البصري الأصل (ت 203 هـــ):

أخذ عن الخليل والعرب، وأقام بالبادية أربعين سنة وكان أحد الأعلام، وله من رواية الأثر والسنن والأخبار منزلة. وهو أول من أظهر السنة بمرو وخراسان.

15: يعقوب الحضرمي، ولاءً، البصري، القارئ أبو محمّد (ت 205 هـــ):

كان أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية وكلام العرب والرواية والفقه، فاضلا تقيا ورعا زاهدا.

16: أبو عمرو الشّيباني، إسحاق بن مرار الكوفي (ت 206 هـــ):

قال الخطيب: كان أبو عمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث، كثير السماع، نبيلا فاضلا، عالما بكلام العرب، حافظا للغاتها؛ عمر طويلا؛ وهو عند الخاصة من أهل العلم والرياسة، مشهور معروف؛ والذي قصر به عند العامة من اهل العلم أنه كان مشتهرا بالنبيذ وشربه، وكان معه من السماع والعلم عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة، لازمه الإمام أحمد بن حنبل، وروى عنه.

17: قطرب، أبو علي النحوي، محمّد بن المستنير (ت 206 هـــ):

لازم سيبويه، وكان يدلج إليه، فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل! فلقب به. وأخذ عن عيسى بن عمر، وكان يرى رأي المعتزلة النظامية،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

فأخذ من النظام مذهبه، و لم يكن ثقة. قال ابن السكيت، كتبت عنه قمطرا، ثم تبينت أنه يكذب في اللغة، فلم أذكر عنه شيئا.

18: أبو زكريا، الفرّاء، يحيى بن زياد الدّيلمي، إمام العربية (ت 207 هـــ):

كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال، وكان متدينا متورعا، على تيه وعجب وتعظم، وكان زائد العصبية على سيبويه، وكتابه تحت رأسه، وكان يتفلسف في تصانيفه، ويسلك ألفاظ الفلاسفة. قال سلمة بن عاصم: دخلت عليه في مرضه، وقد زال عقله، وهو يقول: إن نصبا فنصبا، وإن رفعا فرفعا.

19: الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت 210 هـــ):

سكن البصرة، وكان أجلع لا تنطبق شفتاه على لسانه. قرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه، و لم يأخذ عن الخليل، وكان معتزليا . قال المبرّد: كان أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل.

20: أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت (ت 215 هـــ):

الإمام المشهور. كان إماما نحويا، صاحب تصانيف أدبية ولغوية، وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب. وجده ثابت، شهد أحدا والمشاهد بعدها، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

21: الأصمعي، عبد الملك بن قُرَيب (ت 216 هـــ):

أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر، قال الشافعي :ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي. وقال ابن معين: و لم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنه. وقال أبو داود :صدوق؛ وكان يتقي أن يفسر الحديث، كما يتقي أن يفسر القرآن. وكان بخيلا ويجمع أحاديث البخلاء. وكان من أهل السنة، ولا يفتي إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة، ويقف عما ينفردون عنه؛ ولا يجيز إلا أفصح اللغات.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

22: أبو عمر الجرمي، صالح بن إسحاق البصري (ت 225 هـــ):

كان يلقب بالكلب، وبالنباح لصياحه حال مناظرة أبي زيد. قال الخطيب :كان فقيها عالما بالنحو واللغة، دينا ورعا حسن المذهب، صحيح الاعتقاد. وكان جليلا في الحديث والأخبار، وناظر الفراء. وانتهى إليه علم النحو في زمانه.

23: ابن الأعرابي، محمّد بن زياد، أبو عبد الله (ت 230 هـــ):

قال الجاحظ :كان نحويا عالما باللغة والشعر، ناسبا كثير السماع من المفضل بن محمد الضبي، راوية للأشعار، حسن الحفظ لها، و لم يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه. وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. وكان أحول أعرج. قال ثعلب: و لم ير احد في علم الشعر واللغة كان أغزر منه، وقال غيره :كان ممن وسم بالتعليم، وكان يأخذ كل شهر ألف درهم، فينفقها على إخوانه وأهله، وكان شيخا جميل الأخلاق، وكان قد تماسك في آخر أيامه بعد سوء حاله. وكان المفضل الضبي زوج أمه. وقال محمد بن حبيب :سألت أبا عبد الله بن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح يقول في كلها: لا أدري و لم أسمع، أفأحدس لك برأيي !

24: أبو جعفر، محمّد بن سعدان الضّرير، الكوفي، النّحوي، المقرئ (ت 231 هـــ):

وكان ثقة، وكان يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه، ففسد عليه الفرع والأصل؛ إلا أنه كان نحويا.

25: أبو يوسف، ابن السكّيت، يعقوب بن إسحاق (ت 244 هـــ):

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر، راوية ثقة. أخذ عن البصريين والكوفيين، قتله المتوكّل في قصة معروفة عندما فضّل قنبر خادم علي–رضي الله عنه– عليه وعلى أولاده !

26: أبو عثمان المازني، بكر بن محمّد بن بقيّة، الإمام (ت 249 هـــ):

وكان إماما في العربية متسعا في الرواية، يقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه، وقال المبرد :لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان. وسئل المازني عن أهل العلم، فقال :أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، واهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، والنحاة فيهم ثقل، وفي رواة الأخبار الظرف كله، والعلم هو الفقه.

27: أبو الفضل الرّياشي، العبّاس بن الفرج اللغوي النّحوي (ت 257 هـــ):

قال السّيرافي: وكان عالما باللغة والشعر، كثير الرواية عن الأصمعي. وثّقه الخطيب.

28: المبرّد، محمّد بن يزيد (ت 285 هـــ):

إمام العربية ببغداد في زمانه، كان فصيحا بليغا مفوها، ثقة أخباريا علامة، صاحب نوادر وظرافة، وكان جميلا لا سيما في صباه. قال السّيرافي: وكان الناس بالبصرة، يقولون :ما رأى المبرد مثل نفسه.

29: ثعلب، أبو العبّاس، أحمد بن يحيى الشّيباني، الإمام (ت 291 هـــ):

إمام الكوفيين في النحو واللغة. ولد سنة مائتين، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

غيره، فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني والغريب. ولازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة. وكان ثقة متقنا يستغني بشهرته عن نعمته، وكان ضيق النفقة مقترا على نفسه.

30: أبو جعفر الرّؤاسي، محمّد بن الحسن النّحوي (ت 187 هـــ):

أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو، وهو أستاذ الكسائي والفراء، وكان رجلا صالحا. وذكره أبو عمرو الداني في طبقات القراء، وله اختيارات في القراءة تروى.

31: أبو سعيد السّيرافي، الحسن بن عبد الله، القاضي، النّحوي (ت 368 هـــ):

وقال أبو حيان التوحيدي في تقريظ الجاحظ: أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة... هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة... والكلام في شمائله يطول جدا !

32: أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد (ت 377 هـــ):

المشهور، واحد زمانه في علم العربية، وكان متهما بالاعتزال، وحكى عنه ابن جني أنه كان يقول: أخطئ في مائة مسألة لغوية ولا أخطئ في واحدة قياسية.

33: أبو الحسن الرمّاني، علي بن عيسى (ت 384 هـــ):

كان إماما في العربية، علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي، معتزليا. قال أبو حيان التوحيدي: لم ير مثله قط علما بالنحو وغزارة بالكلام، وبصرا بالمقالات، واستخراجا للعويص، وإيضاحا للمشكل، مع تأله وتتره ودين وفصاحة، وعفاف ونظافة؛ وكان يمزج النحو بالمنطق؛ حتى قال الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء؛ وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

قال السيوطي: النحو ما يقوله الفارسي؛ ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق! وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيه شيء من ذلك.

03–02: معالم لها تأثير:

بعد هذا العرض لسير أهمّ النّحاة الأوائل، وجدنا خطوطا عامّة مشتركة بينهم، وصِفات كانت لدى بعضهم دون الآخر، وعلى كلٍّ فالسّمات الحاضرة تتجلّى في ثلاثة أمور: المذهب والتخصّص، والأخلاق العامّة، والجرح والتّعديل.

03–02–01 المذهب والتخصّص:

أ/ المذهب:

لا يوجد مذهبٌ خاصّ التزمه كلّ النّحاة، بل كانوا على طرائق شتّى:

1- مذهب الشّيعة (شخصية 01).

2- مذهب الخوارج (شخصية 02).

3- مذهب المعتزلة (الشّخصيات: 17، 18، 19، 32، 33).

4- مذهب المرجئة (شخصية 26).

5- مذهب أهل السنّة (الشّخصيات: 8، 21، 22 + حسن المذهب، صحيح الاعتقاد).

ب/ التخصُّص:

مثلما اختلفت المذاهب، فقد تعدّدت الاختصاصات، ولم يكن النّحاة رهائن التّخصص (الوحدوي)!

1- القراءات (الشّخصيات: 6، 7، 12، 15، 24).

2- اللّغة (شخصية 7).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

3- العربية (= علم النّحو) (الشّخصيات: 2، 15).

4- الأدب (شخصية 5).

5- العروض (شخصية 9).

6- الإيقاع والنّظم (شخصية 9).

7- الفقه (الشّخصيات: 1، 2، 15، 22).

8- الحديث (الشّخصيات: 1، 8).

9- الكلام والجدل (الشّخصيات: 18، 19).

10– الفلسفة (ألفاظهم) (شخصية 18).

إنّ اختلاف المذاهب والتخصّصات له دلالته القيّمة، والّتي تساعدنا في فكّ الغموض الكامن وراء التّركيبة الذّهنية لذلك الجيل المنظّر. فمسائل الاعتقاد، والوحدانية التخصّصية (روح العصر)، لم تكن عائقا أبدا في دوران عجلة التّنظير النّحوي خصوصا، والحركة العلمية –بشتّى فنونها– عموما.

03–02–02 الأخلاق العامَّة:

1- الجوانب المرضيّ عنها:

1- الصّلاح (شخصية 30).

2- التّقوى (شخصية 15).

3- الزّهد (الشّخصيات: 8، 9، 5، 7).

4- النّظافة (شخصية 13).

5- الخير (شخصية 9).

6- التّواضع (شخصية 9).

7- التديّن (الشّخصيات: 10، 18، 22).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

8- الورع (الشّخصيات: 10، 15، 18، 22).

9- الانقطاع إلى العلم (شخصية 9).

10- الحجّ السّنوي (شخصية 9).

11- الغزو السّنوي (شخصية 9).

2- الجوانب المغضوب عليها:

1- النّباح (في المناظرة) ! (شخصية 22).

2- التّيه والعجب (شخصية 18).

3- التكبّر (شخصية 18).

4- التعصّب (شخصية 18).

5- ضيق النّفقة (شخصية 29).

6- البخل (الشّخصيات 1، 21، 29).

7- التقعّر في الكلام (شخصية 6).

8- شرب النّبيذ ! (الشّخصيات 12، 16).

نلاحظ هنا أنّ التّركيبة الأخلاقية للنّحاة المنظّرين كانت على جانبين (متفاوتين) من جوانب الحياة الاجتماعية، وعلى الرّغم من ذلك، لم تكن حائلا دون سيرورة العلم والأخذ عنهم !

03–02–03 الجرح والتّعديل:

1- الجرح: له ألفاظٌ عديدةٌ منها:

1- كان يكذب (شخصية 17).

2- لم يكن ثقة (شخصية 17).

2– التّعديل:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

1- ثقة (الشّخصيات 1، 7، 16، 24، 25، 28، 29).

2- صدوق (الشّخصيات 7، 12، 21).

3- حجّة في القراءات (شخصية 7).

4- جليلٌ في الحديث (شخصية 22).

5- حجّة (شخصية 8).

6- ضابط (شخصية 12).

7- لم يكن ممّن يكذب (شخصية 21).

إنّ هذه الموازين كانت إجرائية لضبط التّنظير، إلاّ أنّها لم تكن من النّوع الإقصائي، بدليل أنّ الّذين جُرِّحوا محسوبون في النّحاة، وجهودهم محفوظة، إلاّ ما تُحُفِّظ به عليهم. وفي المقابل: فإنّ من عُدّلوا لم تؤخذ أقوالهم على إطلاقها، بل كانت هناك معايير إجرائية أخرى تُعدِّل أقوالهم كذلك.

إلى جانب هذه السّمات البارزة، هناك ظلالٌ أخرى صرّح بها (السّيوطي) في ترجمته لبعض النّحاة: كالرّأي (1 = من أكمل الرّجال رأيا)، والعقل (1 = من أسدّ الرجال عقلا + 9 = كان الغاية في استخراج مسائل النّحو وتصحيح القياس فيه)، والشّاعرية (1)، ورواية الأشعار (13، 15، 25)، والبداهة (1، 9)، والفروسية (1، 9)، والإمارة (1)، والذّكاء (9)، والدّهاء (1)، والفصاحة والبلاغة (8).

الخاتمـــة:

إنَّ عرض العوامل المؤثِّرة في التَّنظير النَّحوي، على اختلافها، يرشدنا إلى كيفية التَّعامل مع الواقع اللُّغوي، وإلاَّ فما فائدته؟ ! وبما أنَّ هذا الواقع ابتعد في تأديته للُّغة العربية عمَّا كان عليه في زمان المنظِّرين الأوائل، فإنَّ الدَّرس اللُّغوي الحالي، يُلحُّ علينا بضرورة حسن إسقاط النَّظرية النَّحوية على هذا الواقع، وهذا نواة بحثٍ آخر، فالنَّظرة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

العجلى، والإسقاط المباشر قد يوقعانا في أمور، قد تحسب علينا من قبيل الوهم، أو توصلُ القضيَّة إلى تصنيفها ضمن الدَّعوة إلى العامية، على أنَّنا نفرِّق بين ذلك الإسقاط، وبين التَّنظير للفكر العامِّي !.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ إبراهيم مدكور. (1963). مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما 1932–1962. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

2/ أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى. (1993). الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) (ط 2). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

3/ أبو علي الفارسي. (1987). المسائل الحلبيّات (ط 01). (تح، د حسن هنداوي) دمشق/ بيروت، سوريا/ لبنان: دار القلم/ دار المنارة.

4/ أنيس فريحة. (1983). نظريات في اللغة (ط 01). بيروت، لبنان: الكتاب اللبناني.

5/ إيميل بديع يعقوب. (1986). موسوعة النحو والصرف والإعراب (ط 01). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

6/ جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1989). الاقتراح في أصول النحو وجدله (ط 01). (تحقيق وشرح: محمود فجال) دمشق: دار القلم.

7/ جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د ت). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (د ط). (تح، محمد أبو الفضل إبراهيم) صيدا، لبنان : المكتبة العصرية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:799–824 تاريخ النشر:21–10–2021

8/ جمال الدّين الأسنوي. (1985). الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية (ط 01). (تح، محمّد حسن عوّاد) عمّان، الأردن: دار عمّار.

9/ سالم مكرم، عبد العال. (1968). القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحوية (د ط). القاهرة، مصر: دار المعارف.

10/ عبد الرحمن الحاج صالح. (1965). النحو العربي ومنطق أرسطو. مجلة كلية الآداب (العدد 01)، 35–55.

11/ عبد الرّحمن الزجّاجي، أبو القاسم. (1983). مجالس العلماء (ط 02). (تح، عبد السلام هارون) القاهرة/ الرياض، مصر/ السعودية: مكتبة الخانجي/ دار الرّفاعي.

12/ عبد المنعم الدليمي. (2019). علاقة النحو العربي بالنحو السرياني. حوليات الآداب واللغات، جامعة المسيلة ، المجلد 07–01 (العدد 13)، 48–60.

13/ عوض حمد القوزي. (1981). المصطلح النّحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثّالث الهجري) (ط 01). جامعة الرياض، السعودية: عمادة شؤون المكتبات.

14/ فتحي الدجني. (1982). النزعة المنطقية في النحو العربي (ط 01). الكويت: وكالة المطبوعات.

15/ محمد طاهر الحمصي. (2003). من نحو المباني إلى نحو المعاني (بحث في الجملة وأركانها) (ط 01). دمشق، سوريا: دار سعد الدين.

16/ محمّد علي فركوس. (2006). المنطق الأرسطي وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية (ط 01). القبة، الجزائر: دار الرغائب والنفائس.

17/ منى إلياس. (1985). القياس في النّحو (ط 1). بيروت، لبنان: دار الفكر.